

البعد الحقوقي في تفسير الكاشف - حقوق المرأة أنموذجاً

طالب الدكتوراه مسلم رحيم فليح الشحمانى
قسم الدراسات القرآنية والحديثية، جامعة بوعلى سينا، همدان، إيران
mslmrhym892@gmail.com
الدكتور كرم سياوشى (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك، قسم الدراسات القرآنية والحديثية، جامعة بوعلى سينا، همدان، إيران
karam.siyavoshi@basu.ac.ir

The Legal Dimension in al-Kashif's Interpretation - women's rights as an example

Muslim Rahim Flayih al-Shahmani
Department of Qur'anic and Hadith studies , University of Bu Ali Sina ,
Hamadan , Iran
Dr. Karam Siloushi (The Responsible Writer)
Associate Professor , Department of Qur'anic and Hadith studies ,
University of Bu Ali Sina , Hamadan , Iran

Abstract:-

Reforming the nation's state is related to religion of God Almighty. So, no economics, no morals, no policy and no basic rights except the religion of God Almighty. The task of modern interpretation is to extract answers for all urgent questions. Through it, modern interpreter seeks to treat the problems of people according to the instructions and purposes of the religion; it is an explanation of Islamic solutions to problems that arise in human rights, because life is full of variables. So, in every era there are unforeseen incidents, and there is a changing and evolving circle of people's lives. The interpreter is guided by a reformist endeavor in explaining solutions based on religion and taken from the text of the Holy Qur'an.

Among these interpreters, is the Sheikh Mughniyeh, (may God have mercy on him). Sheikh Mahmud Mughniyeh is one of the First scholars of Shia s who confirmed for reforming the Seminaries. He did his best in this regard. The idea of using new methods to spread religion and Islamic democracy always occupied a large area of his thinking. He has reached that life changes and Islam is able to adapt to accept some emerging issues in the modern era and disagree with others.

Sheikh Mughniyeh believed that the Seminary (Hawza) books , of that time ,were one-dimensional, and did not care about other societal sciences, and do not pay attention for development of sciences such as Psychology, Sociology, Politics and Economics. Since these sciences raised serious questions about mortal values and principles of the faith, Sheikh Mughniyeh took a critical position regarding the existing situation. He believed that students of religious sciences must be familiar with contemporary sciences. Despite, Sheikh Mughniyeh believes that the Shiites are owners of valuable scientific treasures to be able to apply with the requires of era and this is the dynamical fiqh among Shiites.

Key words: Mohammad Jawad Mughniyeh, Shiites, interpretation of al-Kashif, legal dimension, women's rights, Islamic solutions, Seminaries.

المخلص:-

ان إصلاح حال الأمة يرتبط بدين الله -عز وجل-، فلا اقتصاد، ولا أخلاق ولا سياسة، ولا حقوق أساسية إلا بدين الله، والتفسير العصري مهمته استخراج جواب كل الاسئلة الطارئة من خلاله يسعى المفسر العصري في معالجة مشاكل الناس وفق تعاليم الدين ومقاصده، وهو تبيين الحلول الإسلامية للمشاكل التي تطرأ في حياة البشر، ذلك أن الحياة مليئة بالمتغيرات، ففي كل عصر توجد حوادث طارئة، وتوجد دائرة من دوائر حياة الناس المتقلبة المتطورة. فالمفسر العصري يتوجه بمسعى اصلاحي في بيان الحلول المتكئة على الدين والمأخوذه من نص القرآن الشريف.

ومن هؤلاء المفسرين الشيخ مغنية رحمه الله، كان الشيخ محمداً مغنية من اوائل العلماء الشيعة الذين اكدوا على ضرورة اصلاح الحوزات العلمية، بذل مجهوداً في هذا الصدد، ولطالما فكرة استخدام أساليب جديدة لنشر الدين والديمقراطية الإسلامية كانت تحتل مساحة كبيرة من تفكيره. وقد توصل إلى أن الحياة تتغير وأن الإسلام بإمكانه التأقلم وتقبل بعض القضايا المستجدة في العصر الحديث ويتناظر مع البعض الآخر.

وكان الشيخ مغنية يعتقد أن الكتب الحوزوية في تلك الحقبة من الزمن، وللأسف الشديد أحادية البعد ولا تهتم بالعلوم الأخرى الموجودة في المجتمع ولا تعبر اهتماماً لتطور العلوم مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، و السياسة والاقتصاد بما أن هذه العلوم كان تثير تساؤلات جدية حول القيم المعنوية ومبادئ العقيدة، فكان الشيخ مغنية يقف منها موقف الناقد إزاء الوضع الموجود، إذ أنه كان يرى أن طلبية العلوم الدينية لابد وأن يطلعوا على علوم العصر، ورغم ذلك فإن الشيخ مغنية يعتقد بأن الشيعة أصحاب كنوز علمية ثمينة بحيث تمكنهم من التطبيق مع متطلبات العصر، وهذا هو الفقه الديناميكي عند الشيعة.

الكلمات المفتاحية: محمد جواد مغنية، الشيعة، تفسير الكاشف، البعد الحقوقي، حقوق المرأة، الحلول الإسلامية، الحوزات العلمية.

السيرة الذاتية للشيخ محمد جواد مغنية

الشيخ محمد جواد بن محمود آل مُغْنِيَّة العامليّ، من أبرز علماء لبنان، ولد سنة ١٣٢٢ هـ الموافق ١٩٠٤ م في قرية طيردبا من جبل عامل، و حين ماتت أمه و هو اربع سنة من عمره انتقل مع أبيه إلى النجف الأشرف، حيث مكث هناك أربع سنوات تعلم فيها القراءة و الخط و الحساب و المبادئ النحو، أما بعد وفاة أبيه الشيخ محمود المغنية إنتقل محمدجواد إلى أخيه الأكبر الشيخ عبدالكريم و كان هناك عشرة سنه من عمره (مغنية، ١٤٢٥هـ: ٣٢).

و بعدما فقد أخيه في سنة الثانية عشرة من عمره بدأت حياة البؤس و رحلة الشقاء في حياة الشيخ محمد جواد إذ لم يبق له معيل في متطلبات حياته و هو لا يزال فتياً يافعاً(ينظر: مغنية، ١٤٢٥هـ: ٣٢-٣٤) و قد أجاد محمد جواد في التعلم من تلك السنوات، فانهجت المشاق مع روحه، و سرت بدمه، لتتحول خيمرة ذلك إلى عقل مفتوح، و فكر مستنير في فهم الإسلام و دور عالم الدين، و نفس مرهفة إزاء آلام الناس و معاناة المستضعفين. (كسار، ١٤٢٠هـ: ٢٧-٢٨)، بعد مرحلة البؤس في بيروت التي دامت أكثر من أربع سنوات، إتجه محمد جواد إلى النجف الأشرف للدراسة و بدأ بدراسة المقدمات كالأجرومية و قطر الندي علي يدي أخيه عبدالكريم ثم أنتقل إلى الأصول و الفقه. و كان من أبرز الذين شملوه بالرعاية الأبوية هو السيد محمد سعيد فضل الله. إذن انتقل بعد المقدمات إلى مرحلة السطوح فالبحت الخارج، و كان من أبرز أساتذته الذين ذكرهم بقلمه: السيد أبو القاسم الخوني، و الشيخ محمد حسين الكربلائي و السيد الحماني(ينظر: كسار، ١٤٢٠هـ: ٣٢-٣٣).

كما يشير الشيخ في كتابه التجارب للدراسة في النجف مرحلتان؛ و لكل منهما كتب مقرررة و لكن لا أحد يلزم الطالب بدراسة مادة معينة، أو كتاب خاص، بل يترك هو و حريته يختار المادة و الكتاب و الأستاذ كما يشاء لكي يستخدم طاقته بنفسه، و يتحمل تبعه عمله. و من هذه المدرسة تخرج أئمة الفقه و الدين، و عمالقة العلم و الفلسفة و أعلام الأدب و الفن. و في مدرسة النجف هو ميلها إلى العزلة و وقوفها علي الحياد من الأحداث العالمية، ما سمع لها صوت مع ثورة الجزائر، و لا ضد الحروب الاستعمارية، و ضد التفرقة العنصرية في أمريكا و جنوب أفريقيا وروسيا و لا ضد السلاح الذري و تحريمه وإلى غير ذلك... (مغنية، ١٤٢٥هـ: ٦٦) و هذه الخيار نري تأثيره في تفسيره الاجتماعي و فهمه من القرآن في الأحداث العالمية.

عندما أنهى دراسته في النجف غادرها سنة ١٩٣٦ بعد أن مكث فيها أكثر من عشر سنوات، ليبدأ في بلده لبنان، رحلته عالم دين، و قاضياً في المحاكم الجعفرية، و أخيراً مفكراً يكتب الفكر الإسلامي، و منه التفسير، لمدة بلغت نصف قرن تقريباً (كسار، ١٤٢٠هـ: ٣٢)، إذن نري الشيخ أيضاً مستشاراً للمحكمة الشرعية العليا فرنيساً لها بالوكالة، إلى أن أحيل للتقاعد(مغنية، ١٤٢٥هـ: ٣٦)، و الشيخ من الذين أبدو في شتى الميادين الإسلامية والاجتماعية والوطنية، توجه بإنتاجه وأفكاره بصورة خاصة إلى جيل الشباب في المدارس والجامعات والحياة العامة، فكان يعالج في كتبه المشاكل والمسائل التي توترقهم وتثير قلقهم كمسائل العلم والأيمان، ومسائل الحضارة والدين، ومشاكل الحياة المادية والعصرية، وكان يقضي في مكتبته بين ١٤ إلى ١٨ ساعة من اليوم والليلة، وله أيضاً الكثير من المقالات والنشرات، وكان كثير الذب عن التشيع بلسانه وقلمه ضد التجني والافتراءات، وأيضاً كان يسعه بقلمه وقوله في التقريب بين المسلمين فألف الكتب ونشر المقالات، توفي ليلة السبت في التاسع عشر من محرم الحرام سنة ١٤٠٠ هـ، الموافق ١٩٧٩ م ونقل جثمانه

إلى النجف وشيع تشييعاً باهراً حيث صلى عليه السيد الخوئي رضوان الله عليه و دفن في حرم الإمام علي A (ينظر: مغنية، ١٤٢٥هـ: ١٠٠-١٤٥؛ ينظر: كسار، ١٤٢٠هـ: ٤٥-٥٥).

أخرج العديد من المؤلفات من أهمها: الفقه على المذاهب الخمسة. ورفقة الإمام جعفر الصادق ع في ستة مجلدات. والتفسير الكاشف، وهو تفسير مطول للقرآن. وفي خلال نهج البلاغة وهو شرح له. والتفسير المبين وغير ذلك (أمين، د.ت: ٢٠٦/٩)، وله مؤلفات متنوعة أخرى من ناحية المواضيع والمفاهيم وهي شاملة للأصول والفروع وعلم الاجتماع والفلسفة، والخ، نذكر منها، (ينظر: أحمد، ١٤٢٨هـ: ٨٦-١٠٩):

١. مع بطة كربلاء
٢. من زوايا الأدب
٣. الوضع الحاضر في جبل عامل
٤. الشيعة والتشيع
٥. مع الشيعة الإمامية
٦. الاثناعشرية و اهل البيت
٧. شبهات الملحدين و الاجابة عنها
٨. النبوة و العقل
٩. الآخرة و العقل
١٠. المهدي المنتظر و العقل
١١. امامة علي و العقل
١٢. علي و القرآن
١٣. الحسين في القرآن
١٤. مفاهيم انسانية في كلمات الامام الصادق
١٥. علي و الفلسفة
١٦. معالم الفلسفة الاسلامية
١٧. نظرات في التصوف
١٨. فلسفة المبدأ و المعاد
١٩. فلسفة التوحيد و الولاية
٢٠. الاسلام بنظرة عصرية

واما منهجه في " التفسير الكاشف" فهو يسير و سهل للقراءة، والشيخ مغنية فلا ينظر إلى القرآن إلا كونه كتاب هداية، يحمل بين ثناياه أسساً للتشريع (ينظر: كسار، ١٤٢٠هـ: ١٨٢-١٨٣)،

البعد الحقوقي في تفسير الكاشف - حقوق المرأة أنموذجاً (١٧)

والشيخ يبين رؤيته ومنهجه في مقدمة "التفسير الكاشف" حيث يقول "نظرت إلى القرآن على أنه في حقيقته وطبيعته كتاب دين وهداية، وإصلاح وتشريع، يهدف قبل كل

شئ إلى أن يحيا الناس جميعاً حياة تقوم على أسس سليمة" (مغنية، ١٤٢٥هـ: ١٣/١).

وهذا ما يلمسه القاريء حين يتصفح ثنايا "التفسير الكاشف"، فيتضح له معالم العصرية في منهجه التفسيري، ومن ذلك ما جاء في تفسير الآية ٢ من سورة البقرة، في قوله تعالى [هُدًى لِلْمُتَّقِينَ]؛ فيه دلالة واضحة على أن القرآن لا يلتمس فيه علم التاريخ، ولا الفلسفة، ولا العلوم الطبيعية والرياضية، وما إليها، وإنما يلتمس فيه هداية الإنسان، وإرشاده إلى صلاحه وسعادته في الدارين وبكلمة أن القرآن كتاب دين وأخلاق وعقيدة وشرعية" (مغنية، ١٤٢٥هـ: ٣٨/١)، ويشير إلى وجهة نظره عن الهدف الرئيسي في نص القرآن الكريم: "لم يكن الغرض من هذه الآيات أن يبين الله لنا ما في الطبيعة من حقائق علمية، كلا، فإن ذلك موكول إلى عقل الإنسان وتجاربه، وإنما الهدف الأول من ذكرها أن نسترشد بالكون ونظامه إلى وجود الله سبحانه" (مغنية، ١٤٢٥هـ: ٣٨/١). إنطلاقاً من هذا نجد أن مجلدات "التفسير الكاشف" تبتعد عن الاطناب، ولم يرغب إلى بيان جوانب اللغة والتجويد و البلاغة ومراتب الاعجاز اللغوي وما شابه (ينظر: كسار، ١٤٢٠هـ: ١٨٦)،

فالغاية الرئيسة للشيخ تبسيط المفاهيم القرآنية ومخاطبة الجيل الشاب، ومحاولة ربط النصوص القرآنية بالواقع المعاش.

البعد الحقوقي في تفسير الكاشف - حق المرأة أنموذجاً

١- المساواة بين المرأة والرجل

يعتقد الشيخ مغنية أن الدعوة إلى المساواة في كل شيء بين الرجل والمرأة، ليس فيه وجه من الصحة لأنه مخالف منطق الحياة، و التساوي في جميع الحقوق والواجبات بينهما ليس منطقياً، وبين ذلك من خلال تفسيره للآية: [الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ] يقول فيها: " الرجل و المرأة ركنا الحياة، و محال أن تستقيم بأحدهما دون الآخر، و معنى هذا أن بين الرجل و المرأة نوعاً من التفاوت.. ولو تساوىا من جميع الجهات لأمكن الاكتفاء بأحد النوعين، و كان وجود الآخر و عدمه سواء" (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٣١٤/٢) وهو يعتقد أن المساواة في الحقوق والواجبات ليس صحيحاً، ويعتقد أن التفاوت في التكوين العضوي يستدعي حتماً التفاوت في بعض الحقوق والواجبات (ينظر: مغنية، ١٤٢٤هـ: ٣١٤/٢)

بل يرى أن الصواب أنهما يشتركان في أكثر الحقوق، أو الكثير منها، و أهمها المساواة أمام الله و القانون، و حرية التصرف في المال، و اختيار شريك الحياة. و يفترقان في بعض الحقوق (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٣١٥/٢).

ويعتبر الشيخ مغنية بناءاً على الأسس القرآنية أن العمل والتقوى عامل رئيسي في تقرير الكرامة الإنسانية ومن ذلك ما جاء في تفسيره للآية [اسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى] (آل عمران: ١٩٥) بنص قوله " العبرة بالعمل، لا بنسب العامل و عنصره، و لا برجولته و أنوثته، فالكل سواء في الإنسانية عند الإسلام، و هذا تقرير لحق المرأة و كرامتها. [بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ] فالرجل أبو المرأة، و المرأة أم الرجل، و كل منهما أخ و زوج للآخر، و الجميع من أصل واحد، كلكم من آدم، و آدم من تراب" (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٢٣٣/٢).

آيات سورة النساء تبين تقاليد زمن الجاهلية ففي زمن الجاهلية كانت المرأة كالميراث، فلقد كانوا يحسبون زوجة الميت من جملة ما يتركه من ميراث، فإذا مات جاء وليه وألقى عليها ثوباً،

وحازها بذلك كما يجوز السلب والغنيمة، فإن شاء تزوجها، وإن شاء زوّجها من غيره، و قبض المهر، تماماً كما يبيع السلعة، و يقبض ثمنها، وإن شاء أمسكها في البيت، و ضيق عليها، حتى تقتدي نفسها بما يرضيه [يا ايها الذين آمنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهنّ لندهبنّ ما آتيتهنّنّ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة و عاشروهنّ بالمعروف فإن كرهتموهنّ فعسى أن تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً] * إن أردتم استبدال زوج مكان زوج و آتيتنّ إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أ تأخذونه بهتاً أو أثماً مبيناً * وكيف تأخذونه و قد أفضى بعضكم إلى بعض و أخذنّ منكم ميثاقاً غليظاً] (النساء: ١٩-٢١). و يشرح الشيخ مغنية في تفسيرها كيفية التعامل الكريم والانساني مع النساء، و عدم التقليل من شأن المرأة بحيث تحفظ كرامتها و قال ان مثال الارث كرها أن تكون المرأة في ولاية قريب لها، كالأخ-مثلاً- هي تملك شيئاً من المال، فيمنعها أخوها من الزواج طمعا في ميراثها، لأنها ان تزوجت ورثها زوجها و أولادها دونه، فأمر الإسلام بإعطاء الحرية للمرأة في الزواج، ونهى عن منعها منه بصيغة النهي عن إرثها كرها، لأن الإرث هو المقصود والغاية، والمنع عن الزواج وسيلة له. والإسلام ينهى عن معاملة المرأة معاملة المتروكات، ويعطي الحرية للمرأة في الزواج واختيار الزوج (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٢٨٠/٢).

٢- قوامة الرجل على المرأة وحفظ كرامتها

وبين الشيخ مغنية قوامية الرجل على المرأة، بقصد به القيمومية في العلاقة الزوجية، وكذلك للنساء في الزواج، وليس المراد بالقيام على المرأة السلطة المطلقة، بحيث يكون الزوج رئيساً دكتاتورياً، والزوجة مرعوسة له، لا إرادة لها معه ولا اختيار، بل المراد ان له عليها نحواً من الولاية، وقد حدد الفقهاء هذه الولاية بجعل الطلاق في يد الزوج، وإن طعيه في الفراش، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه، وهما فيما عدا ذلك سواء (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٣١٥/٢).

و يقدم الشيخ اسباب قوامية الرجل حيث يقول:

أ- باستدلال الآية [يُما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ] (النساء: ٣٤)، يستدل الشيخ مغنية ان الأعمال الجلبية في ميدان العلم و الدين و الفن و الفلسفة و السياسة كلها من الرجال، لا من النساء، و إذا وجدت امرأة، لها دور في ذلك فهي من الطوائف و النوادر (مغنية، ١٥٢٤هـ: ٣١٦/٢)، و يضيف ان المرأة تهتم قبل كل شيء بالتفصيلات و الأزياء التي تجسم أنوثتها، و تبرزها عريانة، و تلونها بكل ما يجذب الرجل، و يلهب شعوره نحو الجنس اللطيف.. و من هنا كانت بيوت الأزياء و مبتكرات التفصيل للنساء، دون الرجال، و لا تفسير لاهتمام المرأة بأنوثتها، و انصراف الرجل إلى جليل الأعمال في ميادين الحياة إلا التباين في الغرائز و التكوين النفسي بين الاثنين (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٣١٦/٢)

ب- الاستدلال بالآية [يُما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ] لأن الذي يتحمل مسؤولية الإنفاق على غيره لا بد أن يكون أفضل من الذي لا يطلب منه شيء، حتى الإنفاق على نفسه.. ان هذا حامل، و ذاك محمول. و تجدر الإشارة إلى ان يشعر بأن الزوج إذا لم ينفق على زوجته لم يكن قواماً عليها، و كان لها، و الحال هذه، ان تطلب من الحاكم الشرعي الطلاق، و على الحاكم أن ينذر الزوج، فان امتنع عن الإنفاق لعجز أو عناد أمره بالطلاق، فان امتنع طلقها عنه، لأن الحاكم ولي الممتنع (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٣١٧/٢)، وحالة النشوز قد تكون من الزوجة فقط، أو من الزوج، أو منهما معا.. و أباح الله سبحانه وتعالى للزوج إذا تمردت عليه زوجته من غير حق ان يعظها، فإن هي قبلت، و الا هجرها في الفراش فان هي قبلت و إلا ضربها ضرباً خفيفاً للزجر و التأديب، لا للتشفي و الانتقام.. هذا إلى ان

الأمر بالوعظ، ثم بالهجر، ثم بالضرب هو أمر للاباحة و الترخيص، لا للوجوب و الإلزام، فقد اتفق الفقهاء جميعاً على أن ترك الضرب أولى، و أن الذي يصير على أذى الزوجة و لا يضربها خير و أفضل عند الله ممن يضربها، كما اتفقوا على أنه كلما حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الاكتفاء به، و حرم الأشد (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٣١٧/٢)

والسبل الثلاث، الوعظ و الهجر و الضرب هي وسيلة إلى الطاعة، فإذا حصلت الغاية ذهبت الوسيلة. أن الزوج لا يجوز له يلمس الأعداء الكاذبة لإيذاء الزوجة، حتى ولو كانت كارهة له، ما دامت قائمة بحقوقه المشروعة. فإن الحب و البغض لا يدخلان في استطاعة الإنسان، و الله سبحانه لا يحاسب و لا يعاقب إلا على ما يظهر من قول أو فعل (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٣١٨/١).

بما أن الله سبحانه وتعالى جعل الرضاعة حقاً للطفل، والوالد من واجباته كسوة الأم المرضعة [وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ] والآية تبين وجوب الإنفاق على من كانت في عصمة الزوج غير مطلقة كانت، أم في العدة الرجعية، والمراد بالرزق الطعام والإدام، وعبر عن النفقة التي من جملتها الإسكان، عبر عنها بالرزق و الكسوة، لأنهما الأهم، والمراد بالمعروف مراعاة حال المرأة في النفقة، و مكانتها الاجتماعية (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٣٥٨/١).

٣- حق العشرة الحسنة

الواجب على كل من الزوجين أن يقوم بما أوجب الله عليه من العشرة الحسنة، ولكن نرى أن القرآن الكريم يعطي أهمية أكبر لحقوق المرأة، ففي تفسير الآية: [وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ]، يشير إلى أنه لا يجوز للزوج أن يملك المرأة كالبهيمة، أو يمنعها من الزواج، كذلك لا يحل للزوج أن يسيء إلى زوجته بقصد أن تبذل له صداقها، لتفتدي نفسها منه، ومن سوء معاملته، فإذا بذلت، و الحال هذه، و أخذ منه المال فهو آثم، إذ لا يحل مال امرئ إلا عن طيب نفس (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٢٨١/٢). وأن الزوج لا يحل له أن يعضل زوجته من أجل المال إلا إذا زنت، و يحرم عليه ذلك فيما عدا الزنا، مهما كان الذنب وقوفاً عند اليقين من المعنى المراد من الآية.. هذا، إلى أن اقتتراف الذنوب لا يحل و لا يبرر أكل أموال المذنبين، و تجدر الإشارة إلى أن القاضي لا يجوز له أن يحكم بسقوط مهر الزوجة التي ثبت عليها الزنا، لأن جواز العضل و الأخذ خاص بالزوج بينه و بين ربه.. و بتعبير الفقهاء: للزوج أن يأخذ المهر في مثل هذه الحال ديانة لا قضاء (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٢٨٢/٢).

يجب على الزوج أن يعاشر زوجته بالعشرة الانسانية التي تليق بكرامتها، وإذا لم يكن رضا لبعض الأسباب فلا تبادروا إلى الانفصال عنهن والطلاق، بل المداراة افضل لان يمكن ان تكونوا مخطئين بشأنهن، ولكن الشيخ مغنية يرى هذا الموضوع بشكل آخر، ففي تفسير [فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا] شرح وجهة نظره في قول منه "من طلب المزيد عوقب بالحرمان" قد يكره الرجل من زوجته بعض صفاتها، ولا يصبر عليها، فيطلقها و يتزوج بأخرى، فإذا هي أسوأ حالا، و أقبح أعمالاً، فيندم حيث لا ينفع الندم (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٢٨٢/٢).

و حول اخذ المهر عند استبدال الزوجة ذيل تفسير الآية [وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِطْرًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا] يقول أنه ليس من شك أن الأخذ محرم، سواء استبدل، أو لم يستبدل، و قد تكون الحكمة في ذكر الاستبدال بالخصوص أن الزوج ربما توهم أن له أخذ المهر من الأولى ليدفعه للثانية، لأنها ستقوم مقامها، فيكون لها كل ما كان لتلك، و لأن الدفع

لثلاثين يتقل كاهله.. فأزال الله سبحانه هذا الوهم بالنص على الاستبدال بالذات "(مغنية، ١٤٢٤ هـ: ٢٨٣/٢).

[وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ] بعد ما نقل آراء مفسرين عدة، احتكم إلى رأي الشيخ محمد عبده، وهو "هو إشارة إلى أن وجود كل من الزوجين جزء متمم لوجود الآخر، فكان بعض الحقيقة كان منفصلاً عن بعضها الآخر، فوصل إليه بهذا الإقصاء، واتحد به" (مغنية، ١٤٢٤ هـ: ٢٨٣/٢).

فهو يرى أن الزواج في الحقيقة مبادلة الروح بالروح، وهو عقد مقدس [وَأَخَذْن مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا] لأن حسب قوله "لأن البيع مبادلة مال بمال، أما الزواج فمبادلة روح بروح، وعقده عقد رحمة ومودة، لا عقد تملك للجسم بدلا عن المال" (مغنية، ١٤٢٤ هـ: ٢٨٣/٢).

٤- تعدد الزوجات

شرع الإسلام تعدد الزوجات، على شرط، ما في ذلك ريب.. وليس هذا المبدأ من حيث هو محلاً للنظر والاجتهاد، ولكن باب النظر والاجتهاد مفتوح في تفسير الشرط المبرر للتعدد، فللمجتهد أن يقول: إن المراد من الخوف مجرد توقع الرجل أن يجور ولا يعدل بين الزوجات، وعليه ينسد باب التعدد إلا فيما ندر، لأن هذا التوقع قائم بالنسبة إلى الأكثرية الغالبة.

مبدأ تعدد الزوجات إلى أربع مبادئ مقرر في الشريعة بحكم الكتاب والسنة، والإجماع قولاً وعملاً، بل هذا المبدأ معلوم بضرورة الدين، ولكنه غير مباح أباحه مطلقة، بل مقيد بشرط يبرره بضرورة الدين أيضاً. فيما يعود إلى نكاح الإناث منهم فعليكم أيها الأوصياء أن تزوجتم بهن أن لا تقصروا في حقوقهن، وأن خفتن التقصير وعدم العدل في معاملتهن لكن أيضاً على أساس العدل، فإن خفتن أن لا تعدلوا مع التعدد فاقصروا على الواحدة (مغنية، ١٤٢٤ هـ: ٢٤٨/٢)، وأما العدل في تعدد الزوجات يشمل "التسوية في الملبس والسكن ونحو ذلك مما يدخل تحت طاقة الإنسان، أما ما لا يدخل في وسعه من ميل القلب إلى واحدة دون أخرى فلا يكلف الإنسان بالعدل فيه" (مغنية، ١٤٢٤ هـ: ٢٤٩/٢).

بين الشيخ مغنية معنى العدل في الآيات [فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً] [وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ] حيث أشار أن العدل الأول يختلف عن العدل الثاني "فالمراد بالعدل الأول التسوية في الإنفاق، وبالعدل الثاني ميل القلب" (مغنية، ١٤٢٤ هـ: ٢٤٩/٢).

إن الله سبحانه قد أوجب الاقتصار على الواحدة مع خوف الرجل من الجور إذا عدد.. وبديهية أن الخوف حالة نفسية ذاتية تخطئ أكثر مما تصيب، وقد شاهدنا الكثير من الرجال تطغى عليهم شهواتهم ورغبتهم في تعدد الزوجات، فتعميهم عن تقدير ظروفهم، وتدبر قدرتهم (مغنية، ١٤٢٤ هـ: ٢٤٩/٢) فإن الأشياء المحسوسة يمكن ضبطها بسهولة.. ولا شيء في الشريعة الإسلامية يمنع أن يعهد بتقدير ظروف الرجل الذي يريد التعدد إلى هيئة خاصة (مغنية، ١٤٢٤ هـ: ٢٤٩/٢).

ولكن حسب رأي الشيخ مغنية أن الاقتصار على الواحدة أقرب إلى العدل، وأبعد عن الجور والظلم، وفي هذا إيماء إلى أن على الرجل أن يكتفي بواحدة، لأن في التعدد مفاسد (مغنية، ١٤٢٤ هـ: ٢٥٠/٢).

الغريب ان الذين لا يتوقع العدل منهم بحال، و يفسدون المجتمع بنسبهم و تعدد زوجاتهم، أما هؤلاء فيقدمون على تعدد الزوجات بكل جرأة..و من المؤسف ان علماء الدين و قادته يجرون عقود الزواج لهؤلاء، بلا توقف، ودون سؤال و جواب، حتى كأن التعدد مباح اباحة مطلقة دون قيد أو شرط. (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٢٠١/٢).

إن تعدد الزوجات ليس من الواجبات ولا المستحبات في الشريعة الإسلامية، وإنما شرعه الإسلام ضمن نطاق خاص، ولمصلحة خاصة، ولكن أعداء الدين اتخذوا من عمل الذواقين الذين لم يراعوا الشرط المبرر، اتخذوا منه وسيلة للطعن والتشهير برسالة الإسلام و صاحبها، كما هو شأنهم و ديدنهم في الاحتجاج بعمل الأفراد على الدين و العقيدة، و لو أنصفوا لعكسوا، واحتجوا بالدين على الأفراد والأتباع(مغنية، ١٤٢٤هـ: ٢٠١/٢).

وإذ اشترط الإسلام على الرجل أن لا يتزوج باثنتين إلا مع أمه من الفساد و الجوار فإن بعض النساء في بلاد أوروبا و أمريكا تتصل أحياناً-و ربما على علم من زوجها- بمن تشاء من الرجال-دون قيد أو شرط..إن صح أخذ القيد و الشرط في مثل ذلك..و فوق هذا أقر مجلس العموم البريطاني في العام الماضي شرعية اللواط، و وافقت عليه بعض المراجع الدينية، و عمت البلاد الفرحة لهذه البادرة «الطبية»، و السبق في ميدان الحضارة و الانسانية و التشريع الحديث..و من غرائب نظم الزواج ان في جنوب الهند، و على حدوده الشمالية يباح للمرأة أن تتزوج بأكثر من رجل، و لا يزال هذا النظام متبعاً حتى اليوم(مغنية، ١٤٢٤هـ: ٢٠١/٢).

٥- حق الزوجة بعد الطلاق

والمراة كما صرح القرآن الكريم والاسلام اصبح لديها حقوقاً بعد الطلاق، فالله سبحانه وتعالى يقول: [وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ]، ويعني أن نعامل به المطلقة المعتدة من العدل و الانصاف، و يتحقق العدل في أن يعزم المطلق أحد أمرين- متى أشرفت العدة على الانقضاء-إما إرجاع المطلقة إلى عصمته بقصد الإصلاح و حسن المعشر، و هذا هو الإمساك بمعروف، و اما تركها و عدم التعرض لها بسوء، مع تأديتها كل ما تستحقه عليه، و هذا هو التسريح بمعروف (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٣٥٢/١)، وكذلك [وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا] اي لا تراجعوهن بقصد إيذاهن، والاعتداء عليهن، وراجعوهن بقصد تأدية الحقوق الزوجية، و التعاون على ما فيه مصلحة الجميع. ان إضراره بها يستلزم ضرره أيضاً لغضب الله عليه، و ذم الناس له، و تعمدتها هي أن تقتص منه، و تقابله بالمثل، و عندها تتحول الحياة الزوجية إلى جحيم عليها و عليه، و ربما اتسع الخرق، و تجاوز الشقاق و الخلاف إلى الأقارب و الأرحام، و وقع ما لا تحمد عقباه..و بهذا نجد تفسير قوله تعالى: [وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ] لا نفسها فحسب، بل يظلم نفسه(مغنية، ١٤٢٤هـ: ٣٥٢/١).

والسكون النفسي و المودة بين الزوج و زوجته من انعم الله عزوجل [وَأَذْكُرُوا اللَّهَ عَظِيمًا] اذ كما يقول الشيخ مغنية كي نسكن إلى "المراة"، و نتعاون معها على ما فيه سعادة الأسرة و هناؤها، فإذا كنا نؤمن بالله، و نأتمر بأمره حقاً فعلينا أن نعمل على تحقيق هذه الغاية، و نبتعد عن كل ما يستدعي شقاء الأسرة، و يعكر صفو الحياة الزوجية"(مغنية، ١٤٢٤هـ: ٣٥٣/١).

والشيخ مغنية يرى ان المراة المطلقة و البكر لا فرق بينهما، اذا كانت عاقلاً يحق لها التصرف في نفسها ففي تفسير الآية [إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ] يدل على ان المراة أن تزوج نفسها بمن ترضى به، و يرضى بها من غير ولي. واحتج الشيخ مغنية على الذين قالوا ان الآية الكريمة نفت

البعد الحقوقي في تفسير الكاشف - حقوق المرأة أنموذجاً (٢٣)

الولاية على المطلقات، و لم تتعرض للولاية على غيرهن لا نفياً و لا اثباتاً، وعليه فففي الولاية في زواج الأيكار يحتاج إلى دليل، فيقول "ان اثبات الولاية يحتاج إلى دليل خاص، أما نفيتها فالدليل عليه الأصل في ان كل بالغ عاقل ذكر ا كان أو أنثى يستقل في التصرف في نفسه، و لا ولاية عليه لأحد إطلاقاً كائنا من كان إلا إذا تجاوز حدود الله سبحانه" (مغنية، ١٤٢٤ هـ: ٣٥٤/١).

ويجب في الحياة الزوجية مراعاة هذا القانون وهو العمل باحكام الله سبحانه وتعالى

[ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَظْهَرُ] ذلك اشارة إلى الاعتاض والعمل بأحكام الله في الحياة الزوجية بعامه، ومعاملة المطلقات بخاصة.. وليس من شك ان الزواج بقصد الانسانية والتعاون على الخير ينتج النماء والزكاة في الرزق، والطهر في الخلق، والعفة في العرض، والنجاح في النسل، أما إذا ساء القصد و المعشر فعاقبته الفقر والفسق، والبلاء والشقاء في حياة الآباء والأبناء.(مغنية، ٤٢٤ هـ: ٣٥٥/١).

الخاتمة والاستنتاجات:

الأسرة عبارة عن مجموعة من الأفراد يعيشون معاً وترتبط بينهم علاقات دافئة كالرعاية والاهتمام، ويتقاسمون الموارد الاقتصادية ذاتها ويعيشون في سكن مشترك، كما يبقى الطفل منتم إلى هذه الأسرة ويعد فرداً من أفرادها إلى أن يكبر ويؤسس أسرته الخاصة. ولم يرد لفظ الأسرة صراحةً في القرآن الكريم، لكنه ورد بالفاظٍ دلّت عليه، منها ما جاء بمعنى أهل الرجل وعشيرته، قال الله تعالى: [إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا] (الأحزاب: ٣٣)، وغيرها من الآيات التي جاء فيها لفظ الزوج والزوجة، والأب والأم، والوالدين، والأقارب، وغير ذلك مما له صلة بالعائلة.

ونظراً لأهمية الدور الذي تلعبه الأسرة في بناء المجتمعات، فقد حرص الله تعالى علي أن يضع بالكثير من التفصيل في القرآن الكريم الأحكام التي تتعلق بالأسرة المسلمة و تنظيم العلاقات بين أفرادها، وإن أحكام الأسرة مؤثرة في المجتمع وموجهة له؛ لأن الأسرة هي دعامة البناء الاجتماعي يضطرب باضطرابها، ويبقى بقوتها، ولأن الإسلام جاء لإقامة مجتمع فاضل تربطه المحبة، وتوثق روابطه المودة، كانت عنايته بأحكام الأسرة، وأن تكون مستقرة يتصل فيها ماضي الأمة بحاضرها. فإقامة نظام المجتمع على أساس الأسرة السليمة (أبوزهرة، د. ت: ٣١٦).

و أولى الإسلام عنايةً خاصة للأسرة وللحفاظة عليها، من خلال تحديده للحقوق المترتبة على أفرادها، كي تصان الأسرة هي الركن الأساسي في بناء كل مجتمع وأمة.

فحث الله تعالى في كتابه الكريم للمسلمين على تزويج الذين لا أزواج ولا زوجات لهم من الرجال والنساء. وعلى تزويج الصالحين للزواج من رقيقهم رجالاً كانوا أم نساء. وفيها وصية ضمنية بأن لا يكون الفقر مانعاً من ذلك. فإذا كانوا فقراء فإن الله قادر على إغنائهم من فضله. وهو ذو الفضل الواسع العليم بمقتضيات الأمور (دروزة، ١٣٨٣ هـ: ٤١٣/٨).

وقال تعالى أيضاً: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (الروم: ٢١). أي من جنسكم والغاية هي السكينة الروحية والهدوء النفسي وحيث أن استمرار العلاقة بين الزوجين خاصة، وبين جميع الناس عامة، يحتاج إلى جذب قلبي وروحاني، فإن الآية تعقب على ذلك مضيضةً وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (مكارم الشيرازي، ١٣٧٩ ش: ١٢/٤٩٤ - ٤٩٥).

وقال رسول الله ﷺ: «النكاح سنّي، فمن رغب عن سنّي، فليس منّي» (البخاري، ١٤٢٢ هـ: ٢/٧).

فإن القرآن جعل الهدف من الزواج الاطمئنان و السكن، و هذا السكن أو الاطمئنان ينشأ من أن هذين الجنسين يكمل بعضهما بعضاً، و كل منهما أساس النشاط و النماء لصاحبه، بحيث يعد كل

منهما ناقصا بغير صاحبه، فمن الطبيعي أن تكون بين الزوجين مثل هذه الجاذبية القوية (مكارم الشيرازي، ١٣٧٩ش: ١٢/٤٩٥).

وقد أولت الشريعة الإسلامية الحياة الزوجية عنايةً بالغةً، بصفتها الخلية الأولى من خلايا المجتمع الكبير، ورعتها بالتنظيم، وقرّرت الحقوق المشتركة بين الزوجين، والحقوق الخاصة بكلٍ منهما على انفراد (الصدر، ١٤٢٩: ٣٧٢-٣٧٣).

فليس الزواج في الإسلام عقد استرقاق وتمليك، وإنما هو عقد يوجب حقوقاً مشتركة ومتساوية بحسب المصلحة العامة للزوجين، فهو يوجب على الزوج حقوقاً للمرأة، كما يوجب على المرأة حقوقاً للزوج (الزحيلي، ١٤١٨هـ: ٢/٣٢٨).

وأساس وجود هذه الحقوق: هو العدل الذي به تقوم المجتمعات كلها، و محبة الخير، وتحقيق الوئام والصفاء، وإشاعة الحب والتعاون، والسلام والأمان، والتزام عفة اللسان.

لذا نبّه القرآن الكريم إلى الحقوق الزوجية في قوله تعالى: [وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ] (البقرة: ٢٢٨). وبما أن الأسرة نواة المجتمع، فلا يمكن تغذيتها أو استمرارها إلا بأداء هذه الحقوق، وبهذه البر المنظم، لتتقوي الأسرة، و ترفرف السعادة في أرجائها (الزحيلي، ١٤٢٩: ٨٠).

و للزوج حقوقٌ على زوجه بحكم رعايته لها وقوامته عليها، وهي: الطاعة بالمعروف، القرار في المنزل و ترك الخروج منه إلا بإذن الزوج، التأديب بالمعروف، حفظ أسرار وأموال الزوج.

و قد حرص القرآن الكريم على حقوق الزوجة على زوجها والحياة الزوجية. وحقوق الزوجة على زوجها على ضربين: حقوق مادية (المهر، والنفقة الزوجية) وحقوق معنوية (المعاشرة بالمعروف، تعليم الزوجة، و العدل بين الزوجات).

يؤكد الشيخ مغنية خلال الاجزاء المختلفة من تفسيره ذيل آيات المرتبطة بشؤون الأسرة علي أهمية الأسرة في المجتمع. لهذا نجده يشير بأن سلامة المجتمع تتعلق بسلامة الأسرة وإرتقاءها. لذلك يذكر الاسباب التي تدمر علاقة الزوجين والأسرة تماماً ويذكر بعض وظائف وحقوق الوالدين والأبناء في نظام الأسرة.

ومن حسن العشرة هي القناعة، والقناعة ملك لا يزول و كنز لا يفني والمعنى المقصود أن من يكتفي بما يجد ولا يتعالى عليه إحتقاراً له و رغبة فيما لا يجد فإنه في غني دائم، تماماً كمن يملك كنزاً لا يفنى (مغنية، ١٤٢٤هـ: ٢/٢٨٢)، يذكر مغنية أن القناعة من مصاديق جهاد المرأة (مغنية، ١٩٧٢م: ٤/٣٠٦) و في شرح كلام الإمام علي A بأن "كفي بالقناعة ملكاً، و بحسن الخلق نعيماً" (السيد الرضي، د.ت: ح ٢٢٩) يقول الشيخ مغنية "أن الغرض من الملك إطمئنان النفس، وضمان القوت، والغنى عن الآخرين، والقناعة تكفل هذا الغرض وتحققه، وأيضاً تقود صاحبها إلى الرضا بما أعطي اللخ و التوكل عليه في كل عمل و فيما لم يعط، و الصبر علي ما حدث و يحدث من المآجات و المخبات" (مغنية، ١٩٧٢م: ٤/٣٥٤)، لذلك نري في بيان الشيخ أن المرأة الصالحة تتحلي بالصبر و القناعة و هذه الخصوصيات من مصاديق جهادها في سبيل الله تعالى.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مايتبدى به القرآن الكريم

١. البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، ١٤٢٢هـ.
٢. السيد الرضي، محمد بن الحسن، نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، د.ت.
٣. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٤. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ.
٥. الصدر، مهدي، أخلاق أهل البيت، قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٦. كسار، جواد علي، محمد جواد مغنية حياته و منهجه في التفسير، قم: دار الصادقين، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٧. مكارم الشيرازي، ناصر؛ و آخرون، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، قم، مدرسه الامام على بن أبي طالب، ١٣٧٩هـ. ش.
٨. مغنية، محمد جواد، تجارب محمد جواد مغنية بقلمه، قم: أنوار الهدى، ط١، ١٤٢٥هـ.
٩. مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، قم: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٠. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، د.ت.

